بسم الله الرحمن الرحيم

إلى مشايخ الهند
ومتصوفة أفغانستان ومصر
وغيرها من الممالك

الحمد لله الذي غلبت رحمته على غضبه في كل ما فعل وقضى، وسبقت أنواره على كُل ليل اكْفَهَرَّ وسجى. هو الله الذي يأتي منه فوج اليسر مع كُلّ عسرٍ عرا. يدعـــو إلى رحمته كل ورقٍ يوجدُ على الأشجار، وكل برقٍ يبرق في الأحجار، وكُل اختلافٍ ترون في الليل والنهار، وكل ما في الأرض والسماء.

ومن آيات رحمته أنه أرسل الرسل، وبعث النُّذُرَ، وأسّس عماراتِ الهدى. ومن آيات رحمته العظيمة.. البدر الذي طلع من أم القُرى، في ليلة اسودت ذوائبها العظمى، فرفع الظلمات كلها، ووضع سراجًا منيرا أمام كل عين ترى. ما عندنا لفـــظٌ نشكر به على مننه الكبرى. أيقظ العالمين كلهم، ونفى عن النائمين الكَرى. تلقى كلّ هَمٍّ وغمٍّ للدين بطيب النفس لما انبرى، وسنَّ بذلَ النفسِ لله لكل من يطلب المولى. فنى في الله.. وسعى لله.. ودعا إلى الله..

وطهّرَ الأرض حق طهارتها، فيا عجبا للفتى! رب.. اجْزِ منا هذا الرسولَ الكريم خير ما تجزي أحدا من الورى. وتَوفَّنا في زمرته، واحشرنا في أمته، واسقنا من عينه، واجعلها لنا السُقْيا. واجعله لنا الشفيع المشفع في الأولى والأخرى. رب.. فتقبل منا هذا الدعاء، وآوِنا هذا الـــذَّرى. رَبِّ.. يا ربِّ.. صَلّ وسلّم وبارك على ذلك النبي الرؤوف الرحيم، وعلى كُل من أحبه وأطاع أمره واتبع الهدى.

أمّا بعد.. فاعلموا أيها الفقراء والزهاد.. ومشائخَ الهند وغيرها من البلاد.. الذين وقعوا في البدعات والفساد، أنني أُمرت أن أبلغكم أحكام الدين، وأذكّركم ما نسيتم من أسرار الشرع المتين. وقد ألهمني ربي في أمركم وقال: إنهم ينادَون من مكان بعيد. ويفعل ربي ما يشاء، وهو القاهر فوق القاهرين.

يا قوم.. اتقوا الله.. ولا تتبعوا أهواء قوم مبتدعين، واتّبعوا الرسول النبيّ الأمي الذي هو رحمة للعالمين. واعلموا.. يا إخوان.. أني أُرسلت محدَّثا من الله إليكم، وإلى كل من في الأرض، فاتقوه ولا تحتقروا المرسلين. واجتنِبوا الرجس من البدعات، وإياكم والمحدَثات، وكونوا عباد الله الصالحين.

يا قوم.. إنّي عبد الله.. مَنّ عليّ برحمة من عنده، وعلّمني من لدنه عـــلم الأولين. وأَرْسلني على رأس هذه المائة، لأنذر قومًا ما أنذر

آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. هو ناداني وقال قل لعبادي: إنني أمرت وأنا أوّل المؤمنين. وسماني باسم يناسب اسم قوم.. أرسلت لإفحامهم وإلزامهم.. وهم قوم المتنصّرين، الذين علَوا في الأرض، واستضعفوا أهل الحق، وزينوا الباطل ليدحضوا به الحق، وكانوا قومًا مسرفين. وأهلكوا كثيرًا من الناس بتلبيساتهم، وجمحوا في جهلاتهم، وقلّبوا للإسلام أمورًا، وجذبوا الناس إلى خزعبلاتهم، وجاءوا بسحر مبين. فنظر الله إلى قلوبهم، فوجدهم غالين دجالين ضالين مضلين. قد أفسدوا طرقهم كلها، وبغوا أمام الرب، وأرادوا أن يفسدوا أقوامًا آخرين. يلحَسون المذاهب كما يلحَس الثور خضرة الحقل، ويريدون علوًّا وفسادا، وليسوا من الخاشعين. فتَن الناسَ فهمُهم ودرايتهم، وكبُر سرّ غوايتهم، وكانوا في علوم الدنيا وصنائعها من المستبصرين. أوقدوا من المفاسد نارًا، وأجرَوا من الفتن أنهارًا، ومكروا مكرًا كُبَّارًا، وبلغوا مقدارًا لن تجدوا مثله في مكائد المتقدمين. أجمعوا همتهم لاستيصال الإسلام، واستدرّوا لِقحتهم لتأليف قلوب اللئام، وأدخلوا أيديهم في قلوب المسلمين. وكان العلماء كمفلس في أعين أعيانهم، أو كمضغة تحت أسنانهم، وكان قومنا سُخْرة المستهزئين. فأراد الله أن يفصل بين النور والظلمة، ويحكُم بين الرجس والقدس، ويمن على المستضعفين. ورأى فتنتهم بلاءً عظيمًا على الإسلام، ورأى أيّامهم كليالٍ مخوفةٍ

من الإظلام، ووجدهم في الفتن قومًا عالين. ما كان فتنة مثل هذا مـــن يوم خلق آدم إلى يومنا هذا.. بل إلى يوم الدين. ومع ذلك تملكوا وعلوا في الأرض، وأثمروا وأكثروا، وأملأوا الأرض كثرة، وزادوا هيـــبة وشوكة، وبارك الله في أموالهم وأولادهم، وعلومهم وفـــنونهم وصنائعهم، وأعانَهم في إراداتهم وأفكارهم وأنظارهم، وفـــتح عليهم أبواب كُلّ شيء.. ابتلاءً من عنده.. فعمُوا وصمّوا وكانوا من الـــمُعْجبين.

وأزاغ الله قلوب علمائنا وفقرائنا، وأطفأ نور قلوبهم حتى عادوا إلى الجهالة التي أُخرجوا منها بما كانوا يفسدون في الأرض، وما كانوا من المصلحين. ففنوا في الأهواء، واستكانوا في الآراء، ووهنوا وكسِلوا، وذرّت ريح الجهل ترابهم، وسُلبت قواهم كلّها فصاروا كالميّتين.

ونظر الربّ إلى أمرائنا فوجدهم المسرفين الغافلين، المعرضين عن التقوى والحق، والظالمين العادين. فباعد بينهم وبين شهواتهم، وباعدهم عن الأملاك التي ارتبطت قلوبهم بها، وأخرج من أيديهم أكثر أملاكهم وأراضيهم، وتبّر كلّ ما كانوا عليها كالعاكفين. وقشِفت الوجوه من آفات الجوع والبؤس، وخمدت نار المتموّلين، وقُصِمَتْ عظامهم، وحُطِمَتْ سهامهم، ليعلموا لِيامُهم أنّهم كانوا من المتمرّدين.

وأحاطت شصية المتنصّرين وشَرَكُ سُراتِهم مِن سَمَكِ البحر إلى سماك السماء، وجرت فُلْكُهم في بحر الإضلال مواخرَ، ووقعت رَجْفةٌ من عظمة شأنهم على كُلّ ما في الأرض.. فخرّوا لهم ساجدين. وما بقي من عشّ ولا كنّ ولا وكر إلا دخلت فيه أيدي الصيادين. ونقلوا خُطواتهم إلى الاعتداء.. حتى نظروا في صحف الرسل ففسّروها برأيهم، وزادوا فيها أشياء، ونقصوا منها، كأنّهم الأنبياء ومن المرسلين. ثم مالوا إلى ملكوت الله وأفعال الألوهية.. فدخلوا في أمور ما كان لهم أن يدخلوا فيها، وفرحوا بتدابيرهم، وحسبوا أنفسهم قادرين على كل شيء كأنهم إله العالمين. واستغنوا وعتَوا عتوًّا كبيرًا، وقطعوا بكبرهم وكفرهم وأنانيتهم آذانَ دهريّين. فهذا هو المراد من ادّعاء النبوّة وادعاء الألوهية، فليفهم من كان من الفَهِمين. وفسدت الأرض بفسادهم، وسارع الناس إلى زينتهم ورشادهم ولمعان فِرْصادهم، وثريدهم وجنّتهم وآرادهم، إلا ما شاء الله.. يحفظ من يشاء.. وهو خير الحافظين. وهاج طوفان عظيم على أعمال الناس وعقائدهم، وطهارتهم وتقواهم، ونيّاتهم وخطراتهم، وأفعالهم وأقوالهم، وأبصارهم وآذانهم، ودينهم وإيمانهم، وأخلاقهم وسنن إحسانهم، ومروّتهم ورَثانهم، وأبنائهم وإخوانهم، وبناتهم ونسوانهم، وزهدهم وعرفانهم، وأيديهم ولسانهم، وهبّت ريح الفساد من كل

طرف، وأحاطت الظلمة على كلّ جهة، وزلزلت الخلق زلزالا شديدًا، وطارت حواسهم، وكانوا كالمبهوتين. وكانوا لا يدرون أَعذابٌ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربّهم رحما، وكانوا لِسرّ الغيب منتظرين. وانشقت فُلْكُهم في بحر الزيغان، وهاجت الأمواج من كل طرف، وكادوا أن يكونوا من المغرقين.

فناداني ربّي من السماء.. أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا، وقم وأنـــذر فإنّك من المأمورين، لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم، ولتستبين ســـبيل المجرمين. إنا جعلناك المسيح بن مريم، لأتِمّ حجّتي على قوم متنصّـــرين. قـــل هذا فضل ربّي، وإنّي أجرِّد نفسي من ضروب الخطـــاب، وأمـــرتُ من الله وأنا أوّل المؤمنين. إنه يرى الأوقات ويعلم مصالحها، وإن من شيء إلا عنده خزائنه. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول لـــه كن فيكون. قل أتعجبون من فعل الله؟ قل هو الله أعجـــب العجيبين! يرفع من يشاء، ويضع من يشاء، ويُعزّ من يشـــاء، ويذل من يشاء، ويجتبي إليه من يشاء، لا يُسأل عمّا يفعل وهم من المسئولين. قل الحمد لله الذي أذهب عني الحزن، وأعطاني مـــا لم يعـــط أحـــد من العالمين. وقالوا كتابٌ ممتلئ من الكفر والكـــذب. قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين. وادع عبادي إلى الحق، وبشّرهم بأيّام الله، وادعهم إلى كتاب مبين. إن

الذيـــن يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، والله معهم حيـــثما كـــانوا.. إن كانوا في بيعتهم من الصادقين. قل إن كنتم تحـــبون الله فاتّـــبعوني يحببكم الله، ويجعل لكم نورًا، ويجعل لكم فـــرقانًا، ويجعلكم من المنصورين. إن الله مع الذين اتقَوا، وإن الله مع المحسنين.

هذا ما ألهمني ربّي.. في وقتي هذا ومن قبل.. ينعم على من يشاء وهو خير المنعمين. وإنّ له عبادًا من الأولياء يسمّون في السماء تسمية الأنبياء بما كانوا يشابهونهم في جوهرهم وطبعهم، وبما كانوا يأخذون نورًا من أنوارهم، وكانوا على خُلقهم مخلوقين. فيجعلهم الله وارثهم، ويدعوهم بأسماء مورثيهم، وكذلك يفعل وهو خير الفاعلين. وللأرواح مناسبات بالأرواح لا يُدْرى دقائقها، فالذين تناسبوا يُعَدّون كنفس واحدة، ويطلق أسماء بعضهم على بعض، وكذلك جرت سنة الله، وذلك أمرٌ لا يخفى على العارفين. إن الله وتر يحب الوتر، ولأجل ذلك قد استمرت سنّته أنه يرسل بعض الأولياء على قدم بعض الأنبياء، فمن بعث على قدم نبيّ يسمّى في الملأ الأعلى باسم ذلك النبي الأمين، ويُنـــزل الله عليه سرَّ روحه، وحقيقة جوهره، وصفاء سيرته، وشأن شمائله، ويوحّد جوهره بجوهره، وطبيعته بطبيعته، واسمه باسمه، ويجعل إراداته في إراداته، وتوجهاته في توجهاته، وأغراضه

في أغراضه، ويجعلهما كالمـــرايا المتقابلة في الإنارة والاستنارة، كأنّهما شيءٌ واحدٌ.. وذلك سرّ التوحيد في أرواح الطيّبين. فهذا هو السرّ الذي سمّاني الله برعايته **المسيح الموعود**، فتفكروا في السرّ ولا تكونوا من المستعجلين. ما كان الله أن يرسل نبيّا بعد نبيّنا **خاتم النبيّين**، وما كان أن يُحدث سلسلة النبوة ثانيًا بعد انقطاعها، وينسخ بعض أحكام القرآن، ويزيد عليها، ويُخلف وعده، وينسى إكماله الفرقان، ويُحدث الفتن في الدين المتين.

ألا تقرؤون في أحاديث المصطفى.. سلّم الله عليه وصلّى.. أن المسيح يكون أحدًا من أمته، ويتبع جميع أحكام ملّته، ويصلّي مع المصلّين. وقد ملئ القرآن من آياتٍ تشهد كلها على أن المسيح ابن مريم قد تُوفِّي، ولحق بإخوانه إبراهيم وموسى، وأخبر بوفاته رسول الله ﷺ وهو أصدق الـــمخبرين. ألا تقرؤون في القرآن: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾،[1] ﴿فلمّا توفيتني﴾؟[2] ألا تقرؤون: ﴿ما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾؟[3] ألا تقرؤون في صحيح الإمام البخاري: متوفيك: مُميتك؟ فما بقي بعد هذه الشهادات محل شك للمشككين. وبأيّ حديث تؤمنون بعد آيات رب العالمين؟ ألا ترون أنه ﷺ قال في علامات المسيح وفي بيان

[1] سورة آل عمران:٥٦. [2] سورة المائدة:١١٨. [3] سورة آل عمران:١٤٥.

وقت ظهوره إنه يكسر الصليب، ويقتل الخنـــزير؟ فاعلموا أنّه ﷺ أشار إلى أنه يأتي في وقت يُعبَد الصليب فيه، ويؤكل الخنـــزير بكثرة، ويكون لعبدة الصليب غلبة في الأرضين. فيأتي ويكسر غلبتهم، ويدقّ صليبهم، ويهدم عماراتِهم، ويخرّب مرتفعاتهم بالحجج والبراهين.

أيها الناس! اذكروا شأن المصطفى.. عليه سلام رب السماوات العلى.. واقرؤوا كتب المتنصّرين، وانظروا صولتهم على عرض سيد الورى، فلا تُطرُوا ابن مريم، ولا تعينوا النصارى يا وُلْدَ المسلمين. ألرسولنا الموت والحياة لعيسى؟ تلك إذًا قسمة ضيزى! ما لكم لا ترجون وقارًا لسيّد السيّدين؟ أتجادلونني بأحاديث ورد فيها أن المسيح سينـــزل، وتنسون أحاديث أخرى، وتأخذون شقا وتتركون شقا آخر، وتذرون طريق المحققين؟ ولا يغرّنكم اسم "ابن مريم" في أقوال خير الورى، إن هو إلا فتنة من الله ليعلم المصيبين منكم وليعلم المخطين، وليجزي الله الصابرين الظانين بأنفسهم ظن الخير، ويجعل الرجس على المعتدين. وقد خلت سننه كمثل هذا، فليتفتش من كان من المتفتّشين.

لقد كان في **إيليا** وقصة نزوله نظيرٌ شافٍ للطالبين. فاقرؤوا الإنجيل وتدبّروا في آياته بنظرٍ عميقٍ أمين. إذ قالت اليهود: يا عيسى.. كيف تزعم أنّك أنتَ المسيح.. وقد وجب أن يأتي إيليا

قبله كما ورد في صحف النبيّين؟ قال: قد جاءكم إيليا فلم تعرفوه، وأشار إلى **يحيى** وقال: هذا هو إيليا إن كنتم موقنين. قالوا: إنك أنت مُفتر.. أتنحتُ معنى منكرًا؟ ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. قال: يا قوم.. ما افتريتُ على الله، لكنكم لا تفهمون أسرار كتب المرسلين.

تلك قضيةٌ قضاها عيسى نبي الله، وفي ذلك عبرة للمسلمين. ما كان نزول بشرٍ من السماء من سنن الله، وإن كان فأتوا بنظير من قرون خالية إن كنتم من المهتدين. وما كان فينا من واقع إلا خلا لـــه نظير من قبل، وإليه أشار الله وهو أصدق الصادقين ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾.[∂] وقد مضت سنة الأوّلين. خصمان تخالفا في رأيهما.. فأحدهما متمسك بنظير مثله، والآخر لا نظير عنده أصلا.. فأي الخصيمَين أقرب إلى الصدق؟ انظروا بأعين المنـــصفين.

يا أيها الناس، التُّقى التُّقى.. النُّهى النُّهى.. ولا تتبعوا أهواء فيج أعوج، واذكروا ما قال المصطفى. لقد جئتكم حكمًا عدلا للقضايا وجب فصلها، فاقبلوا شهادتي، إني أوتيت علمًا ما لم تؤتوه وما يؤتى. وإن كنتم في شك من أمري فتعالوا ليفتح الله بيننا وبينكم، وهو الرب الأقدر الأقوى. إنه مع الصادقين.. يسمع

[∂] *سورة الأحزاب: ٦٣*

ويرى. وبشرني في وقتي هذا، وقال: يا عيسى سأُريك آياتي الكبرى. فأيّ نهج الفصل أهدى من هذا إن كنتم تطلبون الهُدى؟ وقد جئت حين سجَى الدجى، وغابت الحق من الوَجى، وكانت تلك الأيّام أيّام الوباء. قد هلكت فيه أمم كثيرة، وكان الإسلام نِضْوَ سُرًى، ما كان لـــه من موئل ومأوى، كخابط ليلة ليلاءَ، وكان الطالبون كذي مجاعة جَوِي الحشا، مشتمل على الطَّوى. فأوحى إليَّ ربّي ما أوحى. فنهضتُ ملبّيا للنداء، فأنبأني ربّي مما سيأتي وما مضى. وصافاني ونجّاني من كل هم وبلاء، وبشرني بغلبتي على كل من خالف وأبى. وأوحى إليّ بأنني غالبٌ على كل خصيم أعمى. وقال: إني مهين من أراد إهانتك، وأحسنَ إلي بآلاء لا تعد ولا تحصى. وقال: إني معك حيثما كنتَ، وإنّي ناصرك، وإنّي بُدُّك اللازم وعَضُدُك الأقوى. وأمرني أن أدعو الخلق إلى الفرقان ودين خير الورى، الذي سن التبليغ وحث على الجهد وحمل الأذى. لستُ بنبيّ، ولكن محدَّث الله وكليم الله لأجدد دين المصطفى. وقد بعثني على رأس المائة، وعلّمني من لدنه علوم الهدى. وإن كنتم تشكون في أمري، وتحسبون أنكم على حق في مخالفتي، وتظنون قربتكم أعظم من قربتي، فها أنا قائم في موطن المقابلة لرؤية آيات صدقكم وإراءة برهاني على الاصطفاء. وأعزم عليكم بالله الذي هو خالق الأرض والسماء، أن لا تمهلوني طرفة

عين، وجاهدوا لهزيمتي حق جهادكم، واستفتحوا لأنفسكم من الله الأعلى. وحرام عليكم أن تتقاعسوا وتستأخروا ولا تبرزوا في مكان سُوى. واجتمعوا عليّ كلكم وارمُوا كل سهام من قوس واحد، فستعلمون من هلك ومن حفظه الله تعالى وأبقى. وإن تقبلوني فالله يباركم، ويجعلكم مثمرين مباركين آمنين، ويردّ إليكم أيّامكم الأولى، وتسكنون في أمان الله، ويتوب إليكم ربكم ويرضى، وكل سوء يتحوّل عنكم ويتناهى.

يا قوم، إنّي لستُ كافرًا كما يفشي ويفتري عليّ علماء السوء، وما افتريت شيئًا على ربّي، وما أقول لكم من عند نفسي، وقد خاب من افترى. وإني أعتقد من صميم قلبي أنّ للعالم صانعًا قديمًا واحدًا قادرًا كريمًا مقتدرًا على كل ما ظهر واختفى.

وأعتقد أنّ لله ملائكةً مقربين، لكل واحد منهم مقام معلوم، لا ينـــزل أحدٌ من مقامه ولا يرقى. ونزولهم الذي قد جاء في القرآن ليس كنـــزول الإنسان من الأعلى إلى الأسفل، ولا صعودهم كصعود الناس من الأسفل إلى الأعلى، لأن في نزول الإنسان تحولا من المكان، ورائحةً من شِقّ الأنفس واللغوب، ولا يمسّهم لغبٌ ولا شقّ، ولا يتطرّق إليهم تغيّر، فلا تقيسوا نزولهم وصعودهم بأشياء أخرى، بل نزولهم وصعودهم بصبغ نزول الله وصعوده من العرش إلى السماء الدنيا، لأن الله أدخل وجودهم في الإيمانيات،

وقال: ﴿ما يعلم جنود ربك إلا هو﴾،[1] فآمنوا بنـــزولهم وصعودهم ولا تدخلوا في كنههما، ذلك خيرٌ وأقرب للتقوى. وقد وصفهم الله بالقائمين والساجدين والصافّين والمسبحين والثابتين في مقامات معلومة، وجعل هذه الصفات لهم دائمة غير منفكّة، وخصّهم بها؛ فكيف يجوز أن يترك الملائكة سجودهم وقيامهم، ويقصموا صفوفهم، ويذروا تسبيحهم وتقديسهم، ويتنـــزّلوا من مقاماتهم، ويهبطوا الأرض، ويُخلوا السماواتِ العُلى؟ بل هم يتحركون حال كونهم مستقرين في مقاماتهم، كالملك الذي على العرش استوى. وتعلمون أن الله ينـــزل إلى السماء في آخر كل ليل، ولا يقال إنه يترك العرش ثم يصعد إليه في أوقاتٍ أخرى، فكذلك الملائكة الذين كانوا في صبغة صفات ربهم، كمثل انصباغ الظلّ بصبغة أصله، لا نعرف حقيقتها ونؤمن بها. كيف نشبّه أحوالهم بأحوال إنسان نعرف حقيقة صفاته، وحدود خواصه، وسكناته وحركاته، وقد منعنا الله من هذا وقال: ﴿ما يعلم جنود ربك إلا هو﴾، فاتقوا الله يا أرباب النُهى.

ونعتقد..كما كشف الله علينا.. أن عيسى ابن مريم قد تُوفِّي ولحق بإخوانه النبيّين الصالحين، ورفع إلى مكان كان فيه يحيى.

---

[1] *سورة المدثر:* ٣٢

ونعتقد أن رسولنا خير الرسل، وأفضل المرسلين، وخاتم النبيين، وأفضل من كل من يأتي وخلا. هو سلكني بنفسه المباركة، وربّاني بيده الطاهرة الـــمُطهرة، وأراني عظمته وملكوته، وعرّفني بأسراره العُليا.

ونعتقد أن كل آية القرآن بحر موّاج، مملوّ من دقائق الهدى. وباطل ما يعارضه ويخالف بيانه من قصصٍ وعلوم الدنيا والعقبى.

ونعتقد أن الجنّة حق، والنار حق، وحشر الأجساد حق، ومعجزات الأنبياء حق.

ونعتقد أن النجاة في الإسلام واتباع نبينا سيّد الورى. وكل ما هو خلاف الإسلام فنحن بريّون منها، ونؤمن بكل ما جاء به رسولنا ﷺ وإن لم نعلم حقيقته العُليا. ومن قال فينا خلاف ذلك فقد كذب علينا وافترى. فاتقوا الله ولا تصدّقوا أقوال كل ضَنينٍ مَهين.. سعى إليّ كتنّين، ومال إلى إكفاري بفَيلولةِ رأيه، واتّبع الهوى. واعلموا أن الإسلام ديني، وعلى التوحيد يقيني، وما ضل قلبي وما غوى. ومن ترك القُرآن واتّبع قياسًا.. فهو كرجل افتُرس افتراسًا.. ووقع في الوِهاد الـــمهلكة، وهلك وفنى. والله يعلم إني عاشق الإسلام، وفداء حضرة خير الأنام، و**غلام أحمد المصطفى**.

حُبّب إلي منذ صبوت إلى الشباب، وقادني التوفيق إلى تأليف الكتاب، أن أدعو المخالفين إلى دين الله الأجلى. فأرسلتُ إلى كل

مخالف كتابًا، ودعوت إلى الإسلام شيخًا وشابًا، ووعدت أن أري الآيات طُلابًا، ووعدتُ لهم نَشَبًا كثيرًا إن عجزت جوابًا. فشاهت الوجوه وَأْبًا، وما جاء أحدٌ وما أتى. ولم يجيبوا النداءَ، ولا فاهوا بيضاءَ ولا سوداء، وما ركض أحد منهم وما دنا.

فهذه آيةٌ من آيات صدقي وسدادي لقوم يتفكرون. من عرفني فقد صدقني، ومن لم يعرفني فلم يصدقني، ومن جاهد في أمر يكشف الله ذلك الأمر عليه، فطوبى لقلوب هم يجاهدون. لن يُحرَز جَنى العود بالقعود، ولا يملِك فتيلا من لا يؤثر سبيلا، والذين يطلبون فهم يجدون.

فيا قوم.. لا تكفروني بغير عرفان، ولا تكذبوني بغير سلطان، ولا توسعوني سبّا، ولا توجعوني عتبًا، ولا تدخلوا في غيب الله، ولا تصروا على ما لا تعلمون. عسى أن تكفروا رجلا وهو مؤمن عند الله، وعسى أن تفسّقوا أحدًا وهو صالـــحٌ عنده، والله يرى قلوب عباده وأنتم لا تُبصرون. يا قوم.. إن كنت على باطل فالله كاف لإزعاجي، وإن كنت على حق فأخاف أن تؤخذوا بما تعتدون.

يا متصوفي الهند.. إن أهل الصلاح منكم قدر قليلٌ، وأكثركم مبتدعون. وفيكم الذين مالوا إلى الرهبانية، وتركوا ما أُمروا به، ولا يخافون الله ولا يبالون. وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى،

وإلى رياضات البراهمة يسارعون. ويُدمون سنابك سوابقهم، ويعقِرون مناسم رواسمهم، ويحسَبون أنهم يُحسنون. يقولون آمنا بالقرآن، ولا يؤمنون به، ويقولون نتبع السُنن، ولا يتبعونها، وهم إلى طرق الغي منقلبون.

إن الذين وجدوا الحق فهم قومٌ يقطعون تعلق الأشياء مع وجود تعلقها، ويتبتّلون إلى الله بنهج كأنه لا عرس لهم ولا غرس، ولا عنس لهم ولا فرس، ويؤثرون الله على كل ولدٍ وأهل ومالٍ، فهم الموفَّقون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون.

ومنكم من أخلد إلى الإباحة، واتبع النفس في جذباتها، وفَلَى مجاهلَ الـــهلاك والـــمَنون. وأضاع أســـاوِدَه وزاده ومزْوَدَه، ونسي منازله ومناهله، وأغضب ربه، وقصفت الريح فُلْكَه، ودخل في الذين هم مغرقون. ألا يرى أن استصحاب الزاد من أصول المعاش والمعاد، وقد سنح له إرْبُه إليها في الدنيا، ولا يمل فيها من كسب المال ومن كل ما يحجّون. فسوف يعلم لما يشرع في القُلْعة أنه يرحل بأيد صفر إلى دار دائمة الرُّجون.

ومنهم من أخلط عملا صالـــحًا بغير صالح، ومزج الكفر بالإيمان، وركب اليقين بالظنون، فأجمع على الجنوح إلى هوى النفس، ووقع من شاطئ المرسى في بحر الظلم والرُّكون، وأوقع

نفسه في مسالك الهُلْك، وبَوادي التبار، وفعل بنفسه ما لا يفعله المجنون.

يا حسرة عليهم! أحدثوا في الدين أشياء، وتبع كل منهم ما شاء، أُف لهم ولما يبدعون. وكم من بدعة ألزموا طائرها في عنقهم وهم بمفسادها فرحون. يحافظون على بدعات البراهمة، وشعار الكفرة الفجرة، وأخذوا كل طريقٍ من طرقهم، من قبيل إلقاء التوجه، وإجراء القلب، والعكوف على القبور وطوافها والسجدات لأهلها، وهم بها يفخرون. وما كان عبادتهم إلا تصوّر صور مشايخهم في الصلاة وخارجها، وبالله هم يشركون. ويفضّلون طرائقهم وطاغوتهم على النبي ﷺ، ويقولون: إنّا ما رأينا النبي، وما نعلم القرآن، إنْ نبينا إلا شيخنا، وملفوظاته قُرآننا، وإنا لمصيبون. يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضا، ولهم عذابٌ أليم بما كانوا يكذبون. تراهم عاري الجلدة من لباس التقوى وصدق الإقدام، وبادي الجُرْدة من شعار الإسلام، وفي عيشتهم ووجوههم علمٌ على ما يكتمون. جوّهم مزمهرّ، ودَجْنُهم مكفهرّ، وفهمهم كالدواب، وزهدهم كملامح السراب، وهم يحسبون أنهم عارفون. تبًّا لِعيشتهم.. هم ثعالب في المعاملات، وذياب عند

المخاصمات، يفرحون بعطاء الناس، وهم عند المنع وترك الخدمة يعبِسون. يأوون إلى وَفْر، ويُعرضون من يد صفر، ويشتكون.

يحسبون أنهم صاحب دهاءٍ، وما هم إلا كإناء خالٍ من ماء، ويُسَرّون بهذيان المبطِرين المطرين ولا يفهمون. والسبيل إلى سَبْرهم وتقدير معارفهم وحِبْرهم ونور قلوبهم سهلٌ هيّن.. وهو أن يُعرَض القرآن الكريم عليهم ويُسألون. فإن الفرقان مملوٌّ من عجائب الأسرار ودقائقها ولطائفها، ولكن لا يمسه إلا المطهرون، ولا يستنبط سِرّه، ولا يطّلع على غموض معانيه إلا الذي أصابه حظٌّ من صبغة الله، فطوبى للذين يُصْبَغون. وهم قوم شغفهم الله حبًّا، وطهّرهم نفسًا، وزكّاهم وجلّاهم، ورفعهم إليه، فهم في ذكر حِبّهم دائمون. جُذبوا إلى الحق بكل قلوبهم، وفنوا في ذكر محبوبهم، وبذلوا روحهم، وقضوا نحبهم، وصاروا بكل وجودهم لله، وهم عن أنفسهم منقطعون. ما بقي تحت ردائهم إلا الله، تحسبهم باقين موجودين وهم فانون. جرّدوا سيوفًا حديدة على أنفسهم سفاكين، وانسلخوا منها كما ينسلخ الحيّة من جلدها، ويرى الله صدقهم ووفاءهم، وهم عن أعين الناس غائبون. أعجبَ الملائكة سِلْمُهم وإسلامهم، وثباتهم وتعلقهم بحِبّهم، وجهال الناس عليهم يضحكون. يؤذونهم ببهتانات، ويكفرونهم بمفتريات، ولا يعلم سرهم إلا الله، وهم تحت قبابه مستورون.

والذين آثروا الحياة الدنيا واطمأنوا بها، وفسقوا وأفاحوا دم التقوى، وقَفَوا ما لم يكن لهم به علم، فسيعلمون أي منقلب ينقلبون. يخافون الخلق ولا يخافون الله، وهم على أنفسهم شاهدون. منَعهم شمم أنوفهم وعظمة عمائمهم من قبول الحق، فأعرضوا عن داعي الله وهم يعلمون. كل أحد منهم يُسحِت السُّنّةَ ويبري، ويدعو البدعات ويقري، ويقول: انظروا زهدي وفقري، ولا يدرون شيئًا ويحسبون أنهم واصلون. وينظرون إلى الخلق، وإلى الله لا ينظرون. لا يرون غارات الرزايا على الإسلام، ويعكِفون على أهوائهم كعكوف المشركين على الأصنام ولا يبالون. عفت دار الدين وهم غافلون، وغاض در الإسلام وهم نائمون، وبار سعر الشرع وهم يستبشرون.

لا يدرون نار العشق وحرارة الذكر وقبس الفكر، غير التضحي واصطلاء الجمر، ويحبون أن يُحمَدوا بما لا يفعلون. يراءون أنهم نِضْو مجاهدات، وهم عاري المطا من لباس تقاة، ويذكرون تَهجداتهم وهم للفرائض تاركون. لا نصيب لهم من كلام رب غفورٍ، ولا من خبرٍ مأثورٍ، وبأشعار الشعراء يتذاكرون. صبّت على الإسلام مصائبٌ ونوازلٌ وهم غافلون. لا يواسون مقدار ذرة وفي الشهوات هم مستغرقون. وإني أراهم كمازح بالشريعة الغراء، ومستهزئ بأحاديث إمام الورى. يؤثرون أبيات الشعراء على

آيات كلام الله، وبها يفرحون ويرقصون، ويسمعون القرآن فلا يبكون ولا يتضرعون. قوم خرجوا من طريق الاهتداء، وآثروا الظلمة على الضياء، يدبّون في الليلة الليلاء، كالناقة العشواء، ما لهم حافٌّ ولا رافٌّ، ويذهبون أين يشاءون.

ووالله إني أرى نفوسهم قد فسدت، وشابهت أرضًا خربةً، وبالحشائش الخبيثة ملئت، يزحَفون كزحف البهائم ولا يستقيمون. الإفراط عادتهم، والاعتساف سيرتهم، وآثار البراهمة الضالة مبلغ عرفانهم، وأشعار الشعراء وقود وجدهم وغذاء جنانهم. تركوا ربهم والتصقوا بالدنيا، وجعل الله على قلوبهم أكنّة فهم لا يفقهون. صنعوا لأنفسهم مآزر من أصحاب القبور، وأضاعوا بركات ذَرى الرب الغفور، ويفسقون ولا ينتهون. تركوا ملكًا داخ البلاد، واتبعوا كل حقير لا يملك الزاد. وما ظلموا الله ولكن أنفسهم يظلمون. افتتنوا بإطراء المادحين، وأهلكهم إغضاء المسامحين، ولم يقتبسوا نورًا من القرآن، وفي وادي الشعراء يهيمون. يريدون غسل المريدين من أدناس الذنوب، وهم متلطخون بأنواع العيوب، ولا يعلمون. أيها الغِمْر الجاهل.. قُمْ أوّلا لغسل قلبك، ثم انهض لغسل أخيك بأيد مطهرة، ولا تقل للناس ما لا تفعل فيضحكون. وكيف تغسل بدن إخوانك وإن

بدنك قد اتسخ، ودرنه قد رسخ، وأنت لا تنتهج مهجة الاهتداء فكيف هم ينتهجون؟

وإن كنـــتم في ريـــب مما أمرتُ به فتأهبوا للنضال، واستعدّوا لإراءة آيات الكمال وصدق الحال، من الله ذي الجلال، وإنا نحن لإراءتها مستعدون. اعلموا أن الولاية كلها في إجابات الدعاء، ولا معـــنى للولاية إلا القبولية في حضرة الكبرياء. فالمضمارَ المضمار، وإن تؤثروا الفرار، فأنتم كاذبون.

تعالوا يدخلكم الله في رياض الأمن، ولا تفرحوا بخَضراءِ الدِّمَنِ، وأنتم تعلمون. يدعوكم الله إلى الخير فما لكم لا تلبّون؟ ويوقظكم واعـــظٌ مـــنكم فما لكم تتناعسون؟ ويجذبكم يد الغيب فلم.. يا قـــوم.. تتقاعســـون؟ قد جاءكم أنباء الله فلم تتناسون؟ وقد جاء الحـــق وزهق الباطل وأنتم تمارون. وقد تجلت لكم الآيات وأنتم تعـــامون. ألا ترون أن الأرض قد زلزلت، وأن الفتن قد أحاطت، وأن القلوب قد ماتت، وكل داهية على الإسلام نزلت، وكل آفة اندلفت عليه وغلبت، واستيقظ الأعداء وأنتم تنامون؟

أرى البدعات في كل قولكم وفعلكم، وفي كل عمل تعملون، وفي الأجداث التي ترفعون، وفي ثيابكم التي تصبغون، وفي الأشعار التي تنشدون، وفي الوَخْد الذي تمشون، وفي القصص التي تقصّون بالفخـــر وتتكـــبرون، وفي لحيـــتكم التي تطيلون أو تحلقون، وفي

طـــيوركم التي تصطادون. ما لكم لا تستعبرون على غفلتكم ولا تتندّمون؟ ما لكم لا تخافون الله ولا ترتاعون ولا تلتاعون؟ ونسيتم يومكـــم الذي فيه إلى الله ترجعون. وأرى الفساد في أعينكم التي إلى الدنـــيا تمـــدّون، وتحملقون حملقةَ البازي المُطِلّ وعلى جيفتها تقعـــون، وفي لُسْـــنكم الـــتي تُحدّونها على الإخوان وتطيلون، وكالصّـــل تُنَضْنِضُونَ ولا تكفّون، وفي آرائكم التي تُسقطون فيها ولا تصـــيبون. ولا تميّزون الفائق من المائق وتخلطون. وعلى بادرة الظـــن تســـبّون وتغـــتابون. وبولايتكم تفتخرون، وعند الدعوة للمقابلة تولّون الدبر وتنهزمون، ثم لا تخجلون.. بل على فيوضكم تُساجلون. وإني أعلم أنكم جمادٌ محضٌ، ما دناكم روح الله وإنكم ميّـــتون. وإن كنتم على شيء فما منعكم أن تتجاولوا في الميدان وتتراســـلوا، وفي المضمار تتبارَوا وفي حلقة السوابق تتبارزوا، كما أنكـــم تدعون؟ فإن بارزتم.. فتجدون مَطْلَعي عليكم أسرعَ من ارتداد طَرْفكم إليكم، ويخزيكم الله خزيًا مؤلـــمًا وتُغْلَبون.

إني جئت لإعلاء كلمة الإسلام وأنتم تخالفون، وأريد أن أجدّد دين الله وأنتم تزاحمون. ألا ترون أن الإسلام عاد غريبًا، وورد عليه ما لم يره الرّاءون، ولا رواه الرّاوون؟ ما لكم لا تأخذكم الرجفة من هذا ولا تتألّمون؟ وما لكم لا تغيرون على هذا ولا تشتعلون؟ أ أنتم رجال أم مخنّثون أيها الجاهلون؟ ألا ترون أن الفتن

قد تعاظمت، وأن ظلماتها قد عمّت وأحاطت، وأن الأرض ألقت ما فيها وتخلّت، وأن البدعات قد ثرَّتْ وكثرت، وأن تعاليم القرآن قد رُفعت، والنفوس إلى الأرض أخلدت، وإلى الدنيا مالت، وتغطّت الآراء تحت البدعات وفي الأهواء أفرطت، وكل قوم أفسدت طريقها وضلّت، فما بقي بعد ذلك ما ينتظره المنتظرون؟

وإني.. والله.. من عنده، ودعوت الناس من أمره، فليختبر المختبرون. وإني أضع أمام العلماء والمشائخ لعنةً وبركة، فليأخذوا منهما ما شاءوا، وليميلوا إلى ما يميلون.

أما اللعنة فللذين يكذّبونني باتباع الظنّ، ويكفرونني رجمًا بالغيب، ولا يعلمون الحقيقة ولا يتدبّرون. ولا يطلبون منّي ما يشفي صدورهم ولا يحضرونني ليشاهدوا الآيات ولينجوا من الشبهات، كما يفعل المتقون. ألا إنهم هم الذين شقُوا في الدنيا والآخرة، وعليهم لعنة الله بما يكفرون المسلمين بغير علم وبما كانوا يظنّون ظنّ السوء وبما كانوا يستعجلون.

وأما البركة.. فللذين يسمعون كلامي، ويرون آياتي، ويظنّون بأنفسهم خيرًا، ويقبلون الحق ولا يستكبرون. فأولئك هم الذين سعدوا في الدنيا والآخرة، وقاموا لطلب الحق فهم يطلبون. لا يمشون مكبّين على وجوههم، ويسألون عند كل شبهة لينجوا

منها، ولا يصرّون على الباطل ولا يغفلون. فعليهم صلوات الله ورحمته وبركاته وهم مرحومون.

يا أيها الناس.. اسألوني إن كنتم تشكّون. وادعوا لله تضرعًا وخفية، واستكشِفوا منه يكشف عليكم، ولا تقعدوا مع الذين يخوضون بشرّ من عند أنفسهم، ولا يتبعون سبيل الرشد، ولا يطلبون الحق وهم مستكبرون.

يا أيها الناس.. إن نزول المسيح كان أمرًا غيبيًا، فالله أبدى غيبه كيفما شاء، فلا تجادلوا في غيب الله، ولا تتعدوا حدودكم وأنتم تعلمون. وإن كنتم في شك مما قلت وادعيت لنفسي.. فاقصدوا قريتي، والبثوا أيامًا في صحبتي، يكشف الله عليكم ما في قربتي، ويحكُم فيما كنتم فيه تختلفون.

وإن استطعتم.. فتعالوا لإراءة آيات صدقكم ورؤية صدقي، وأجمِعوا عليّ خيلَكم ورَجِلَكم وإخوانكم المبتدعين، وأحياءَكم القبوريّين، وادعوا عليّ ولا تُمهِلون. فإن كانت لكم الغلبة فاذبحوني بأي سكّين تشاءون. واعلموا أن الله مخزيكم، ولا يؤيد إلا عبده، ولا يعلي إلا دينه، ويهلككم أيها المفسدون. إن الله لا يرضى لعباده الكفر والشرك والبدعة، وأعداؤه هم المذبوحون. إنه معي، وقد أخبرني من سرِّ نزول المسيح وعُمِّيَ عليكم، وكان هذا فتنة من الله، يخفي ما يشاء ويبدي، وكذلك سنته في أنباء الغيب،

فويل للذين يحاجّون في غيوب الله، كأنهم كانوا عليها محيطين، وكانوا على كل خفاياها مطلعين، ولا يحذرون.

أيها الناس.. كل شجر يعرف بأثماره، فستعرفونني بأثماري، فلِمَ تشاجرون؟ وكُفُّوا ألسنتكم من الإكفار، وأيديكم من الإضرار، واتقوا سخط الله القهار، وادعوا الله كشف هذه الأسرار، فسوف تُخبَرون. إني أدعوكم إلى أمر فيه ثمرة خيركم وعلاج مَيرِكم، وهو أن يجاهد كل أحد منكم، ويسأل الله تعالى أن يريه رؤيا كاشفًا لحقيقة الحال، أو يلهمه إلهامًا يليق للاستدلال، والله قادر على كل شيء، فيعطيكم إذ أنتم بكل قلبكم تسألون. فقوموا في أواخر الليالي وتوضّأوا، ثم صلُّوا ركعاتٍ وابكوا وتضرعوا، وصلوا على النبي الكريم وسلموا، ثم استغفروا لأنفسكم واستخبروا، وداوموا على هذا أربعين يومًا ولا تسأموا، فستجدون من الله أمرًا يقودكم إلى الحق، وتنجَّون من الشبهات، كما ينجى الصالحون. فما لكم لا تقتدون سنن الصلحاء، ولا تنتهجون مهجّة الأتقياء، وتحبّون أن تفسّقوا وتكفروا إخوانكم بغير علم، فتؤخذون عند الله وتحاسَبون؟ أتحسبون الإكفار هيّنًا، وهو عند الله عظيم، ما لكم لا تتقون الله ولا تتفكرون؟

يا أيها الناس.. توبوا توبوا، قبل أن تغلق أبواب التوبة وأنتم تنظرون. يا أيها الناس.. اجتنبوا مجالس قومٍ متصوفةٍ يقولون: إنا

نحن لجِشْتِيّون، وإنا نحن لقادريّون. يأتونكم في جلود النعاج وهم ذياب مفترسون. تروهم أذنًا للأغاريد، والمعرضين عن سنن النبي الوحيد، وأكثرهم فاسقون. قرِموا لقِينات غَيداءَ، ودَعُّوا الشريعة الغراء، وخلعوا رَسَنَهم واتبعُوا الأهواء، فهم عليها منتكسون. ما لهم من علم من معارف القرآن، وما مسّت قريحتهم دقائق الفرقان، ويحسبون أنهم إلى قصوى المطالب فائزون. وإذا قيل لهم: اتبعوا داعي الله.. قالوا: لا نعلم ما الداعي، وإنا نحن الراشدون المرشدون. وإذا دُعوا إلى الله وسنن رسوله ﷺ لَوَّوا رؤوسهم استكبارًا، واتخذوا نُذُرَ الله هُزْءةً وبهم يستهزئون. ويقولون إن المحدثيّة وشرف مكالمات الله وشرف رسالته ليس بشيء، ولو شئنا لجعلنا أدنى مريدينا بالغ هذا المقام، ولكنّا لمِثل هذه الأمور كارهون. ختم الله على قلوبهم، فهم لا ينظرون إلى الحق ولا يقصدونه ولا يَـــيجلون، ويحتقرون الذي أرسله الله إلى عباده، ويقولون: قد أنبأنا الله: إنه كافر كذّاب، ويصرّون على قولهم وهم يكذبون. ويقولون: إن البركات كلّها منوطة بالبيعة، وما لهذا الرجل شرف بيعة شيخ من المشايخ. وما بيعتهم إلا كصفقة المغبون، وإنْ قولهم إلا كذبٌ نَحَتَه الصوّاغون.

يا حسرةً عليهم! ألا يعلمون أن المسيح ينـــزل من السماء بجميع علومه، ولا يأخذ شيئا من الأرض، ما لهم لا يشعرون؟ ألا

يعلمون أن الذين يُرْسَلون من لدن ربهم لا يحتاجون إلى بيعة أحد، وهم من ربهم يتعلّمون، وكل علم منه يأخذون.. به يبصرون، وبه يسمعون، وبه ينطقون؟ يسكن فيهم رُوح الله، فهم بروحه يتكلّمون، وبه ينوِّرون كُلَّ مَن سلِم نظمُ فطرته، وبه يفيضون. وبه يُطلعون على كنوز العلم، ويقيمون حجّة الله على كل من لجّ بإنكار الحق وجحوده، ومن الله يُنصرون. يُودِع الله صدورهم معارف القرآن، ويُظهرهم على نوادر وقائع الزمان، ويعطيهم شيئًا ما لا يعطى غيرهم، وهم من غيرهم يميَّزون. ويهب لهم مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدهم، وهم بعناياته يخصصون. وأنى لكم هذا الفضل أيها المتمردون المكذبون؟ وإن كان في بيعتكم وبيعة مشايخكم أثر.. فأرُوني فيها هذا الأثر أيها الكاذبون. وإن كان في صحبتكم وصحبتهم فيض.. فما لي لا أرى ذلك الفيض.. أأنتم تثبتون؟ قد هلكتم وأهلكتم جِبِلا كثيرًا أيها المفترون. ما لكم.. ما نفع الناس بيعتكم، وما أنتم منه منتفعون؟ وما مجلسكم إلا حلقة ملتحمة، ونظّارة مزدحمة، وما يُقرأ القرآن في مجالسكم، بل بالأشعار تتلاعبون. والذين يبايعونكم ما أرى فيهم حُب الله وحُب رسوله لما لا أراهم متناهين من الفسق والمعصية، بل إلى المعاصي يسعون ويسارعون. ويركَنون من الله إلى غير ركين، ويعبدون القبور ويستعصمون بغير مكين، وينتكسون على جيفة

الدنيا، فهم مالئون منها البطون. يكلَفون بها لغباوتهم، ويكلَبون عليها لشقاوتهم، وهم فيها يعتدون. لا يعلمون من القرآن دقيقة، ولا يقرؤونه، ولا يتزودون للآخرة شيئًا، ولم يزالوا لدنياهم يعانون.

يا أيها الناس! توبوا توبوا، فإن الأيام قد كملت، وساعة الله قد اقتربت. فطوبى لعين أمعنت ورأت، وطوبى لأذن أصغت وسمعت، وطوبى لقدم إلى الحق نهضت وسارعت، وطوبى لقوم هم يقبلون الحق ولا يعرضون.

أيها المسلمون.. جعلكم الله مسلمين.. اعلموا أني من الله، وكفى بالله شهيدًا، واعلموا أنه ينصرني، ويؤيدني، ويعلمني، ويلهمني، وأعطاني من معارف لا يعلمها أحد إلا بتعليمه، فما لكم لا تقبلون ولا تمتحنون؟

أيها الناس.. ادنوا مني ولا تتحولوا، وافتحوا أعينكم ولا تغضّوا، وادخلوا في أمان الله ولا تبعدوا، وتَطهّروا عن الحقد والشَّنَآن ولا تلطّخوا، وتَجلّدوا إلى التوبة ولا تستأخروا، ولا تُفرِطوا في سوء الظن واتقوا واجتنبوا، واستعينوا بالصبر والصلاة وجاهدوا، ولا تعجَلوا ألا لا تعجَلوا، وادعوا الله متضرعين، واطرحوا بين يدي ربكم، واسألوه حقيقتي وحقيقة أمري بكل

قلبكم، وبكل توجهكم، وبكل عزيمتكم، وبصدق همتكم، يكشف الأمر عليكم وتُجابوا.

ارفقوا أيها الناس.. ارفقوا، ولا تَغلُوا في سبّكم ولا تعتدوا، واتقوا إنكار عجائب الله التي أُخْفيت من أعينكم ولا تجأروا، وارحموا على أنفسكم ولا تظلموا، أيها المستعجلون.

يا مشائخ الهند، إن كنتم تحسبون أنفسكم شيئا فما لكم لا تبارزونني ولا تقاومون؟ وإني أراكم في غلوائكم سادرين، وسادلين ثوب الخيلاء ومعجبين، وأهلككم المادحون المطرئون. تعالوا ندع الرب الجليل، ونتحامى القال والقيل، ونطلب من الله البرهان والدليل، ونسأل الله أن يفتح بيننا وبينكم ليتبين الحق ويهلك الهالكون. وإني.. والله.. أتيقن فيكم أنكم الثعالب وتستأسدون، وبُغْثانٌ وتستنسرون، وكذلكم في أمري تظنون. فتعالوا نجعل الله حَكَمًا بيننا وبينكم، ليكرم الله الصادقين ويخسر المبطلون. فإن كان لكم نصيب من نعمتي التي أنعم الله عليّ.. فبارزوا على ندائي، وواجهوا تلقائي، وابتدروا ولا تُمهِلون.

ووالله.. ما أرى فيكم نفسًا من الصلحاء.. إلا كالشعرة البيضاء في اللِّمّة السوداء.. وأراكم أنكم أضللتم عباد الله، وعقرتم ناقة الإسلام وتعقِرون. وقد أرسلني ربي لأعرّفكم طرقا تسلكونها، وأعمالا تعملونها، وأخلاقًا تتهذبون بها، فأجيبوني: أتقبلون دعوتي

أو تردون؟ ما لكم لا تنظرون إلى الإسلام ومصائبها، وإلى آفات جديدة وغرائبها، ولا تواسون أيها الغافلون؟ هذا وقت جمع ضلالةَ كل تَنوفة، وسلالةَ كل مَخوفة، وأتى الزمان بعجائبِ فتنٍ وعلومٍ أُطروفة، يُعرَف فيها علامات الوقاح كامرأة مطروقةً يقبلها الأحداث ويستملحون.

أيها الناس.. جئتكم في وقت كادت الشمس تغرب فيه وتجِب، وضياء الإسلام يستتر ويحتجب. فما لكم لا ترون الأوقات، وما تقبلون النور الذي نزل في وقته، وفي أنباء الرسول تشكون؟ ما لكم قد جمدتم وناقتكم قعَدت وأرنفت بأذنيها، ونفسكم لغِبت وسقطت على ساقيها، وما بقي لكم حس ولا حركة ولا أنتم تتنفسون؟ أأنتم نائمون أو ميتون؟ ما لكم لا تسمعون ولا تجيبون؟ أتحبون الحياة الدنيا ولا تذكرون موت آبائكم ولا تخافون؟ يا حسرة على شُفوفكم في الدّين، وتشوّفِكم أجسامَكم بالتسمين، وخُلوِّكم من مواساة الإسلام والعلم واليقين ومما تدّعون. ألا ترون ريحًا مطوِّحة عن طرق الصواب، وفتنًا مبرحة لأولي الألباب؟ ألا ترون رأس المائة التي كنتم تنتظرونها؟ ألا ترون أظلال الظلام، واقتحام جيش الليام، فلم لا تستيقظون؟ ألا ترون أن الإسلام صار كاليتيم المَزْءود، وهمم المسلمين كالنِّضْو المجهود، وخوف الله

كالمتاع المفقود، وعلم القرآن كالحي الموءود؟ ترونه، ثم تتجاهلون؟!

أيها الناس! امتحِضوا حَزْمَكم في الأفكار، وديانتكم في الأنظار، ولا تحيدوا من الله البار، ولا تردّوا نعمة الله التي جاءت في وقتها، ولا تولوا وأنتم معرضون. وإن تسمعوا قولي، وتلتفتوا إلى مواعظي، وإلى الوصايا التي أنا موصيكم اليوم، فالله يرضى عنكم، ويثمركم ويكثركم، وينـــزل بركاته عليكم، ويجعل بركة في أولادكم وذرياتكم، وزروعكم وتجاراتكم، وعماراتكم وإماراتكم، ويحييكم حياة طيبة، فتدخلون في أمان الله وتحت ظله تعيشون. وإن لم تنتهوا من شروركم، ولم تضعوا حُكم الله على نحوركم، فتؤخذون بذنوبكم، وتأكلكم نار عيوبكم، ويجعلكم الله قصصًا للآخرين، وعبرة للناظرين، ويذرّيكم ويزعجكم، فتبقى طلولكم وأنتم تفنون. ويجرّد الله وراءكم سيفه، ويسلط عليكم من يؤذيكم، ويضرب عليكم الذلة، ومن كل مقام تُطردون.

إن الله يريد أن يؤيد دينه، وينصر عبده. أفهذا إسلامكم.. أنكم على خلافه واقفون؟ أتستطيعون إزعاج شجرة غرسها الرب الكريم؟ أبالله تحاربون؟ رَبّ.. ما أرعبَ إقدامَك! إذا نزلتَ لنصرة قوم فهم الغالبون. رَبّ.. ما أقطعَ حسامَك! إذا جردته على حزبٍ فهم المقطوعون. إن الله تجلى بألبسة جديدة، فقوموا له أيها

الغافلون. وإن تغافلتم وأعرضتم فسوف تذكرون وتتندمون. انظروا إلى أقوام قبلكم، عصوا الله.. فضربهم على سيماهم، وأخذهم بالبأساء والضراء، وأبادهم بالآفات وأنواع البلاء، وما أنتم خير منهم، وما ضعف الله وما لغِب وما استكان، فما لكم لا تتقون جلال الله ولا ترتعدون؟

وما قلنا فيكم إلا شيئًا قليلا، وسدلنا على كثير من مخازيكم، وآثرنا التغاضي على الملام، لعلكم تشكرون في أنفسكم وتتوبون.